

ظهور المهندس فتحي كان يصيبه بارتباك ، حتى لتبدو عيناه أضيق ، وتصيح شفته مزموطين ، كلان إذا بدأ حديث عنه في أقصى المقهى ولو بصوت خافت لا يسمعه ينكمش داخله ، مسدداً النظر إلى المجلد الذى لم يعد يفارقه حتى عند اضطراره إلى دخول دورة المياه ، بل إن البعض كان يحلو له أن يعابشه ، فيصيح بصوت مرتفع عند دخوله ..

"أهلاً بالدكتور .."

ويرغم نبرة السخرية البادية فإنه يلتفت متثدأ ، منحياً بدقة محسوبة ، ولو أن هذا جرى في الماضى لنشبت أزمة حادة ، كانت الرغبة فى الدعابة تشتد ، خاصة عند المهندس فتحي وحسنى الجزار ، ولكن المعلم رجاهما فى صمت ألا يبالغا ، فإحساس غامض بالشفقة يتتاه تجاهه ، والرجل يبدو فى حاله ، ملموماً ، منظوياً ، وكأنه لم يعد له مقر إلا هذا المقهى ، بل إنه كان يلحظه من مكانه ، يشارك بصمت فى بعض المناقشات التى تدور بين الجماعات الجالسة هنا أو هناك ، لكنه لم ينطق قط .

أدرك المعلم ما يمكن أن يحرك سروره ، فكان يسأله دائماً عن موعد مناقشة الرسالة ، فيرد بحماس ، ويتحدث عن ضرورة الإخلاص وإظهار الضمير العلمى السليم فى وقت فسدت فيه الضمائر .

كان المعلم حريصاً على ألا يصل حد السخرية إلى ما يمكن أن يثير حفيظته ، أو يدفعه إلى أداء الغضب ، لهذا عندما مر أسبوع كامل على اختفائه وعدم ظهوره فى مواعده ، سأل شقيقه بلال ، والعمال ، عما إذا كان أحدهم أذاه أو ضايقه ، لكنهم أكدوا جميعاً أنهم حرصوا على شعوره ، تماماً كحرص المعلم ، وأنه فى آخر مرة بدأ هادئاً ، بل إنه صافحهم جميعاً ، هذا ما لم يفعله قط من قبل ، وأثناء خروجه حاملاً المجلد الضخم استدار برأسه ، متوقفاً لحظات قصار ، ثم مضى ..

